الأستاذة: كعبش ريمة

المقياس: مقاربات نقدية معاصرة

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

بتاريخ:08 -04-2021

المحاضرة رقم6: علم السرد

1- مفهوم السرد و السردية(علم السرد):

للسرد، في معناه البسيط، كما جاء في لسان العرب، مفاهيم مختلفة، تنطلق من أصله اللغوي، الذي يعني التتابع في الحديث، يقال سرد الحديث و نحوه، يسرده سردا، إذا تابعه، و فلان يسرد الحديث سردا، إذا كان جيد السماع له. و يقابل السرد، في المنجز النقدي الغربي، كلمة narratology التي جذرها narrate بمعنى سرد، و قصّ، و روى.

لكن مصطلح narrative و هو صفة، يُترجم إلى المَروي، أو المحكي، و عندما نطلب من الجدّة، أن تسرد لنا حكاية، فإنها تستخدم مهاراتها في القص، و بناء على ذلك، تسرد لنا الحكاية، من مبدئها إلى منتهاها، تُشوقنا تارة، و تخبرنا بحوار الشخصيات تارة أخرى، و عن المكان الذي توجد به هذه الشخصيات، و ما إلى ذلك... كل ذلك تسرده الجدة، و بالتالي يختلف السرد، من جدة إلى أخرى.

إلا أن مصطلح السرد الحديث، نحا مناحي كونية شاملة، فالأمر تعلق بمفهوم مغاير تماما للمفهوم السردي القديم المتواضع، فالسرد، كمصطلح نقدي حديث، هو كما يقول د . عز الدين إسماعيل، في كتابه الأدب و فنونه، إنه نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورتها اللغوية .

و يعدّ مصطلح السرديّة (Narratology) مصطلحا حديثا نسبيا، دخل دائرة الاستخدام في فرنسا تحت تأثير البُنيوية، حيث يُشير إلى الدراسة النظرية و تحليل السرد.

إن تزفيتان تودوروف هو من ابتكر هذا المصطلح عام 1959 بعد أن شكله من كلمة (narrative logy) أي سرد و علم ليحصل على مصطلح علم السرد أو السردية، على أنه العلم الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردي أسلوبا و بناء و دلالة، و يُحيل السرد بوصفه المادة الأولية لهذا العلم على أنه: نظام لغوي يحمل حادثة أو سلسلة من الحوادث على سبيل التخييل، و هو فن تنظيم هذه المحمولات بوصفها شكلا فنيا منتظما بعلاقات و قواعد و أبنية داخلية تنظم عمل السرد، و ذلك انطلاقا من جذره العربي الذي يعني التنظيم وصولا إلى المفاهيم الحديثة.

و تُعنى السردية باستنباط القواعد الداخلية للأجناس الأدبية، و استخراج النُظم التي تحكمها وتوجّه أبنيتها، و تحدد خصائصها وسماتها، و وُصِفتْ بأنها نظام نظري، غُذّي، و خصّب، بالبحث التجريبي.

2- مباحث علم السرد(السردية):

تبحث السردية في مكونات البنية السردية للخطاب من راوٍ ومروي و مروي له، و لما كانت بنية الخطاب السردي نسيجا قوامه تفاعل تلك المكونات، أمكن التأكيد أن السردية، هي: المبحث النقدي الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردي، أسلوبا و بناء و دلالة . و العناية الكلية بأوجه الخطاب السردي، أفضت إلى بروز تيارين رئيسين في السردية، أولهما: السردية الدلالية التي تعنى بمضمون الأفعال السردية، دونما اهتمام بالسرد الذي يكوّنها، إنما بالمنطق الذي يحكم تعاقب تلك الأفعال، و يمثل هذا التيار: بروب، و بريمون، و غريماس . و ثانيهما: السردية اللسانية التي تعنى بالمظاهر اللغوية للخطاب، و ما ينطوي عليه من رواة، و أساليب سرد، و رؤى، و علاقات تربط الراوي بالمروي . ويمثل هذا التيار، عدد من الباحثين، من بينهم: بارت، و تودوروف، و جنيت.

شهد تاريخ السردية محاولة للتوفيق بين منطلقات هذين التيارين، إذ سعى غاتمان و برنس إلى الإفادة من معطيات السردية في تياريها: الدلالي و اللساني، و العمل على دراسة الخطاب السردي بصورته الكلية، في ما اتجه اهتمام برنس إلى مفهوم التلقّي الداخلي في البنية السردية من خلال عنايته بمكون المروي له، اتجه اهتمام غاتمان إلى البنية السردية عامة، فدرس السرد بوصفه وسيلة لإنتاج الأفعال السردية، و بحث في تلك الأفعال بوصفها مكونات متداخلة من الحوادث و الوقائع و الشخصيات التي تنطوي على معنى . وعدّ السرد نوعا من وسائل التعبير، في حين عدّ المروي محتوى ذلك التعبير، و درسهما بوصفهما مظهرين متلازمين من المظاهر التي لا يتكوّن أي خطاب سردي من دونهما.

و يتشكل السرد، تبعا لمهارة الكاتب، و أسلوبه المتميز، و طريقة معالجته للقضية التي يطرحها، و يمتد ويُمط، لكي يتحوّل في يد المؤلف الفنان، كما لو كان كتلة من طين، لأي شكل من شأنه أن يخدم العمل ككل، و يرتقي به نحو النموذج و الشكل الصحيح الملائم.

ونحن لو نظرنا، إلى عمل قصصي لا بأس به، و بسطناه أمامنا، ثم التقطنا، بملقط جيد، بعضا من مكوناته، كالشخصيات مثلا، و الفكرة أو القضية المطروحة، و الزمان و المكان بعينهما، و التقطنا أيضا بعض الحشو، الذي لا يخلو منه الأمر، ثم خلطنا ما تبقى و نظرنا إليه بعيننا المجردة، لوجدنا أن ما لدينا هو كتلة جميلة و أنيقة من السّرد، و لو تمحصنا هذه الكتلة، و ما بها من أشياء، لوجدنا ما يلي، جُملا قصصية محكمة، مبنية بالأساس أيضا من كلمات منتقاة، من ثم فقرات قصصية جيدة، و لوجدنا الحبكة أيضا، التي هي عبارة عن غرز مصنوعة من تلك الجمل القصصية المحكمة، خيطت بأسلوب مميز لصانع هذا السرد، مطعمة بالحوارات بأنواعها، ولوجدنا بعضا من التشويق، ضمنا داخل الحبكة، التي هي في خيال المؤلف، و جودتها، من خصوبة هذا الخيال و دهشته، و لوجدنا دراما و صراع فرح أو حزن، أشياء كثيرة و رائعة، تُكوِّن هذه الكتلة من السرد.

3- مكونات السرد و مباحث علم السرد:

إن الراوي، المروي أو الرواية، المروي له، هي مكونات السرد الأساسية، و يقول د . حميد الحمداني، في كتابه بنية النص السردي، إن السرد هو الكيفية أو الطريقة، التي تروى بها الرواية، عن طريق هذه المكونات، و ذلك وفق النحو الآتي:

الراوي: هو المرسل، يقوم بنقل الرواية إلى المرسل إليه أو المتلقي، و هذا الراوي ما هو إلا شخصية من ورق على حد تعبير بارت. و هو يختلف تماما، عن الروائي الكاتب، الذي هو شخصية من لحم و دم، و خالق ذلك العالم التخيّلي، الذي تتكوّن منه روايته، و الروائي، بطبيعة الحال، لا يتوجب أن يظهر ظهورا مباشرا في بنية الرواية، و إنما يستتر خلف قناع الراوي.

المروي: أي الرواية نفسها التي تحتاج إلى راو و مروي له، أو إلى مرسل ومرسل إليه، وأن السرد والحكاية اللذين هما طرفا ثنائية لدى السردانيين اللسانيين، هما وجها المروي المتلازمان اللذان لا يمكن القول بوجود أحدهما دون الآخر.

المروي له: قد يكون المروي له، كما يقول د . عبدالله إبراهيم، في كتابه السردية، اسما معينا ضمن البنية السردية، و قد يكون، كذلك الأمر، شخصية من ورق، كالراوي، و قد يكون كائناً مجهولاً أو متخيّلا.

و لمّا كانت مكونات الرواية، هي الراوي و المروي و المروي له، أمكن القول إن البنية السردية هي: رسالة لغوية تحمل عالما متخيلا من الحوادث التي تشكّل مبنى روائيا يتجاذبه طرفا الإرسالية اللغوية أي الراوي و المروي له، لتنتظم بمنظومة متكاملة من العلاقات و الوشائج الداخلية التي تنظم آلية اشتغال المكونات الروائية الثلاثة مع بعضها ابتداء من الرواة و أساليب روايتهم و إجابتهم عن سؤال المروي له: ماذا حدث؟ كيف حدث؟ مرورا بمفاصل المروي أي الحدث و كيفية بنائه و الشخصية و علاقاتها الروائية و الزمان و تقنياته و المكان وأنواعه، و انتهاء بتعالقات الراوي و المروي له . نستطيع أن نقول، في ظل الإشارات السابقة، إن السرد، ليس شيئا محددا، لذلك، فإننا، كما هو معلوم، نستطيع أن نرى و نُدرج، كم لدينا من شكل و اتجاه لهذا السّرد، من دون أن نُغلق الجدول، لأن الحبل متروك على الغارب، و لكل مؤلف بصمته الخاصة من الخيال، و رواية الحكايات، و تحويلها إلى الواقع اللغوي.

4-أنماط السرد:

يوجد نمطان رئيسان للسرد: موضوعي و ذاتي، ففي السرد الموضوعي، يكون الكاتب مطلعا على كل شيء، حتى الأفكار السردية للأبطال، أما في السرد الذاتي، فإننا نتتبع الحكي من خلال عيني الراوي، و عن هذين الأسلوبين السرديين، تنشأ جملة من التقنيات المختلفة، كتقنية الراوي بضمير الأنا، أو الهو، أو الأنت.

4- أنواع الرؤية السردية:

للرؤية السردية، نواح متعددة، لدى النقاد الروائيين، و ذلك بحسب العلاقة بين الراوي و الشخصيات الروائية، و هي كالآتي:

-الرؤية من الخلف، حيث تكون معرفة الراوي أكثر من معرفة الشخصيات الروائية.

-الرؤية المتلازمة، و هي الرؤية التي تتصاحب فيها معرفة الراوي بمعرفة الشخصيات الروائية.

–الرؤية من الخارج، و هي الرؤية التي تكون فيها، معرفة الراوي أقل من معرفة الشخصيات الروائية.

المراجع:

- ينظر: سعد العتابي: البنية السردية آفاق و رؤى(مقال إلكتروني)
- ينظر: عثمان مشاورة: في مفهوم السردية و مكوناتها(مقال إلكتروني)
- ينظر: كتاب حميد لحميداني: بنية النص السردي
- ينظر: كتاب: عبد الله ابراهيم: السردية العربية